

اختيارات نحاة الأندلس بتن مدرستي الكوفة والبصرة النحويتين  
وأثر ذلك على تطور الدرس النحوي

د. فاروق أحمد الهادي\*

المستخلص

يتناول هذا البحث قضية من قضايا الدرس النحوي في عصوره المختلفة، وهي قضية اختيارات نحاة الأندلس النحوية بين مدرستي الكوفة والبصرة النحويتين، وقد نهضت الدراسة بمناقشة بدايات التأثر حيث ظلّ المذهب الكوفي مهيمناً على حلقات واختيارات الأندلس، فأصبح له أتباعه ومريدوه ولما اشتد ساعد نحاة الأندلس وكثرت شروحهم لكتاب سيويه وتمكنهم من المعرفة النحوية تحولوا إلى المذهب البصري القائم على أمر القياس والتشدد في القراءات فتبصّر النحو الأندلسي إن جاز التعبير. وقد أوردت الدراسة نموذجاً لهذا التبصر ممثلاً في يوسف بن سليمان الأعلام الششمري (ت ٤٧٦ هـ) وشرحه لكتاب سيويه ودفاعه عنه.

\* جامعة النيلين كلية الآداب.

### Abstract

This research investigates one of the main themes of the syntax lesson throughout its different ages: the choices of the (andalus) syntax scholars to identify themselves with one of two syntax schools of al-basra and al-kufa. The study shoulders the responsibility of discussing the initial beginnings of the kufians doctrine influence on the andalus spheres and circles where it gained followers and adheres. After having the command of syntax and being able to elucidate the book of (seawayh), the andalus syntax scholars changed to adopt the (besrian) doctrine. this was well represented by yousif bin sulayman al-shantamari(d.476) who explained and defended the book of (seawayh).

### المقدمة:

حاولت في هذا البحث أن ابسط القول في اختيارات نخبة الأندلس، بين مدرستي الكوفة والبصرة النحويتين، وأثر ذلك على تطور الدرس النحوي، وقد تناولت الورقة المحاور التالية:

أولاً: دخول النحو المشرقي إلى الأندلس ودور الرحلات فيه .

ثانياً: نتاج العقل الأندلسي .

ثالثاً: الاهتمام بالدرس النحوي الكوفي .

رابعاً: الاهتمام بالمذهب البصري .

خامساً: الأعلام الشنتمري بوصفه عالماً من علماء هذه المدرسة، فقد اخترته نموذجاً .

سادساً: ختمت البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات. ولقد جعلت لهذا

البحث هدفاً رئيساً وهو انحسار النحو الكوفي عن الأندلس وقد دخلها أولاً، وبعض

الأهداف الفرعية المتمثلة في بعض النماذج الأندلسية وأسباب التحول من النحو الكوفي

إلى النحو البصري وضربت لذلك مثلاً بالأعلام الشنتمري .

## اختيارات نحاة الأندلس بين الكوفة والبصرة وأثر ذلك على تطور الدرس النحوي

يتناول هذا البحث العلاقة الوثيقة بين نحاة المغرب العربي، وحركة الدرس النحوي في المشرق العربي ممثلاً في قطبيه الكوفة والبصرة، ونسبة لضخامة الموضوع فقد تناولت الورقة الجزء الثاني منه والمتمثل في اختيارات نحاة الأندلس واتكائهم على مدرستي الكوفة والبصرة النحويتين. وقد كان للنحو الكوفيّ السبق في العبور إلى المغرب العربي، بالرغم من أن كتاب سيبويه (الكتاب) هو أول مؤلف ضخّم يعبر إلى الضفة الأخرى بعد فتح موسى بن نصير - عام اثنين وتسعين للهجرة لتلكم البلاد (الأندلس) والتي يفصل بينها وبين شمال إفريقيا مضيق جبل طارق<sup>(١)</sup>.

لقد ساهم الفتح الإسلامي في نشر كثير من العلوم مثل الطب، والنبات، وعلوم اللغة وغيرها<sup>(٢)</sup>.. وكان لعلوم اللغة العربية، وعلم النحو على وجه الخصوص نصيب عظيم من اهتمام الأندلسيين، كما هو الحال في المشرق العربي؛ لارتباط هذا العلم بمصادر التشريع من كتاب وسنة. حيث كثر اللحن وشاع في العربية الفصحى، وأصبح الخطر يهدد القرآن<sup>(٣)</sup>، فوجه علي - كرم الله وجهه - أبا الأسود الدؤلي بوضع قواعد الإعراب فكانت نشأة النحو مشرقية وعربية بحتة<sup>(٤)</sup> وبصورة أدق وأعمق بصرية بحتة<sup>(٥)</sup>.

وقد كان للأندلس حظ وافر فيه، وأن الأندلسيين العرب، والمؤدبين منهم بشكل خاص، كانوا يُعلّمون طلابهم النحو منذ الفتح ونهاية الحرب، فساعدوا في نشر اللغة العربية؛ فقد كانوا يعدّون نصوصاً ويناقشونها مع طلابهم، ويحلّونها بطريقة تعليمية بسيطة، بعيداً عن كل التعقيدات التي لازمت الدرس النحوي، ليسهل فهمها، ويمكن أن نرد اعتماد الأندلسيين على هذا التبسيط والتسهيل إلى عوامل عدة هي:

أولاً: أمر يتعلق بالمؤدبين أنفسهم فلم تكن معرفتهم بعلم النحو مكتملة بل كانت معرفة سطحية بسيطة، وبقوا على هذه الحال حتى عرفوا الهجرة والرحلات إلى المشرق العربي، فرحلوا في طلب العلم الشرعي وعلوم اللغة وبخاصة النحو<sup>(٦)</sup>.

ثانياً: كان جل تركيزهم على الكلمات المفردة إذ يقومون بتدريسها لطلابهم ويوجهونهم للاهتمام بها، ومعلوم أن علم النحو العربي علم يقوم على دراسة الجمل ووظائف تلكم الكلمات في هذه الجمل والاهتمام بضبط أواخر هذه الكلمات بالحركات الإعرابية التي تبين تلكم الوظيفة.

ومن أشهر علماء هذه المدرسة جودي بن عثمان<sup>(٧)</sup> وكان أول المسافرين إلى المشرق، ودرس النحو على يد ثلثة من علماء المدرسة الكوفية كالكسائي والفراء شيخي المدرسة الكوفية ومن هنا يمكننا ترجيح تأثر نخبة الأندلس بالنحو الكوفي في بادئ الأمر، وظل جودي عثمان يدرس النحو لطلابه، وينشره في بلاد الأندلس حتى وافته المنية.

وقد سافر في طلب العلم كثير من علماء الأندلس فمن هؤلاء: عبد الملك بن حبيب السلمي<sup>(٨)</sup> (ت ٢٣٨ هـ) وهو من كبار علماء النحو واللغة في الأندلس ومن الطبيعي أن يتأثر هؤلاء العلماء المهاجرين إلى الشرق بعلمائه من بصريين وكوفيين.

ومنهم من أخذ عن الأصمعي البصري<sup>(٩)</sup> فعليه لم يخرج الأندلسيون عن منهج النخبة السابقين في الأخذ من المدرستين، متى ما اقتضى الأمر سواء كان المأخوذ مصطلحاً أو احتجاجاً برأي نحوي معين. وكيف لا وكتاب سيبويه البصري أكثر الكتب المشرقية شرحاً وتوضيحاً، وبالرغم من ذلك فقد اتكأ الأندلسيون أولاً على المذهب الكوفي واعتنوا بنحوه عناية كبيرة لأسباب سنذكرها في موضعها. ويرى الأستاذ علال الفاسي أن النحو الكوفي استمر في المغرب كما يشهد بذلك اصطلاحات ابن آجروم الصنهاجي

واختياراته ويعيد السبب في تأصله إلى تعلق المغاربة بما ترمز إليه الكوفة من ولاء لعلي ابن أبي طالب وللعترّة الشريفة<sup>(١٠)</sup>.

ونضيف إلى هذه المقاربة أن الطبع الأندلسي يميل إلى التيسير وعدم التشدد، وعدم تضيق ما يمكن أن يكون واسعاً.

### نتاج العقل الأندلسي:

مضت حقبة على علماء الأندلس وهم يأخذون الكتب المشرقية كما هي، يَدْرُسُونَهَا وَيُدْرَسُونَهَا لِطُلَّابِهِمْ، ثم كان من الطبيعي أن ينتقلوا إلى مرحلة شرح تلك الكتب والتعليق عليها وتصويب أخطائها - إن وجدت - فهاهو العالم البغل يضع شرحاً لكتاب الكسائي، وصنف ابن العريف في شرح كتاب الجمل للزجاجي، وكتاب سيوييه (الكتاب) أكثر الكتب النحوية شرحاً وتوضيحاً، كما وضع ابن السيد البطليوسي كتاب (إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل)<sup>(١١)</sup>.

فقد بدأ النحو صغيراً في الأندلس شأنه شأن كل كائن حي يبدو صغيراً ثم يتطور إلى أن يصل مرحلة النضج. فبدأ بهذه القراءات وحلقات الدرس فاشتدت سواعد علماء الأندلس النحوية فأصبحوا قادرين على تخطي النحو المشرقي وكتبه وشرحه، ولمسوا في أنفسهم القدرة على التأليف فوضعوا المصنفات النحوية المختلفة، التي يمكنها تشكيل مصدر يغنيهم عن الكتب المشرقية التي سادت في بلادهم فترة طويلة، فكان القرنان الثالث والرابع الهجريان في الأندلس من أزهى عصور التأليف، فألفت أعداد غير قليلة من الكتب النحوية التي وضعها علماء الأندلس الذين تخرجوا على يد كوكبة من علماء المشرق العربي ومن هؤلاء على سبيل المثال:

١ - النحوي الأول جودي بن عثمان<sup>(١٢)</sup>.

٢ - أبوبكر بن خاطب<sup>(١٣)</sup> له تأليف في النحو<sup>(١٤)</sup>.

٣ - ابن أبي غزالة له كتاب ألفه في اللغة العربية<sup>(١٥)</sup>.

٤ - يحيى بن عبدالرحمن الملقب بالأبيض، ألف في النحو كتاباً أخذه الناس عنه<sup>(١٦)</sup>.

ويلاحظ أن هؤلاء العلماء الذين كتبوا وصنفوا في النحو العربي لم تذكر المصادر شيئاً عن مؤلفاتهم أو أسمائها بل اكتفت بتلك الإشارات التي أوردتها أمام كل مؤلف وقد يرجع ذلك إلى عدم شهرتهم العلمية أو بساطة تلهم المؤلفات وقد يعود السبب لبعض الحساسيات المذهبية.

وفي أواخر القرن الثالث عشر أدخل محمد بن موسى بن هاشم الاقشيني<sup>(١٧)</sup> كتاب سيبويه وانطلقت حركة قراءته وتوالت عليه التعليقات والشروح ومن اشتهر بدراسته هرون بن موسى القرطبي (ت ٤٠١ هـ) الذي شرح عيون الكتاب.

وقد شهد القرن الرابع الهجري تطوراً كبيراً في الدراسات النحوية واللغوية في الأندلس، تميز بتداخل عدة اتجاهات سيكون لها القيد المعلى في تكوين المدرسة المغربية، فامتزج الكوفي بالبصري، وتلاقى المنطق والنحو وكثرت الاستنباطات.<sup>(١٨)</sup>

#### الاهتمام بالنحو الكوفي:

لازمت العلوم الإسلامية انتشار الدين الإسلامي، ولم يمض وقت طويل حتى بدأ العلماء يجمعون بين العلوم الفقهية والدراسات اللغوية لما لذلك من صلة بالقرآن الكريم، وكان من وراء هذا الاتجاه بالأندلس أبو موسى الهواري<sup>(١٩)</sup> الذي رحل إلى المشرق والتقى بالإمام مالك ونظرائه، وأخذ النحو عن الأصمعي وأبي زيد الأنصاري. وكان عالماً في الفتوى في زمانه، بيد أن أول من تخصص في النحو هو جودي بن عثمان (ت ١٩٨ هـ) فقبل عنه إنه أول من صنف في النحو الأندلسي، وهو تلميذ الكسائي والقراء. وهكذا شق النحو الكوفي طريقه للأندلس واشتد عوده على يد مفرج بن مالك النحوي المعروف: بالبغل والذي شرح أحد كتب الكسائي<sup>(٢٠)</sup>.

ولقد زاد الدكتور وائل أبو صالح<sup>(٢١)</sup> مبررات أخرى لعناية الأندلسيين بالنحو

الكوفي وهي:

أولاً: نشأة المدرستين: فالمدرسة البصرية وجهت اهتمامها إلى النحو العربي قبل المدرسة الكوفية بنحو مائة عام تقريباً، ولما جاء الأندلسيون لطلب النحو العربي وجدوا النحو الكوفي في بدايته والآراء النحوية عندهم بسيطة بعيدة عن التعقيد فأخذوا بها، وكذلك لما امتازت به من سهولة ويسر هما السمة الغالبة على العقل الأندلسي المبتدئ بأخذ النحو. ثانياً: تشدد البصريين في القياس مما أدى إلى تعقيد درس النحو الأمر الذي يفتر منه الأندلسيون، وفضلوا الأخذ عن الكوفي المتيسر في السماع والقياس.

ثالثاً: اعتماد الكوفيين على السماع والتقليل من القياس كان هذا الأمر أقرب إلى الواقع لأنهم لم يكثرثوا بالقلة أو بالكثرة، ولا يرى الكوفيون أي سبب لتفضيل لهجة على أخرى أو قبيلة على أخرى، فكل القبائل عندهم فصيحة اللغة، فهم يحترمون كل ما جاء عن العرب<sup>(٢٢)</sup> فلفت ذلك نظر الأندلسيين فوجهوا اهتمامهم نحو المسموع الميسر (النحو الكوفي) وابتعدوا عن غيره.

#### رابعاً: طبيعة الكتب الكوفية التي درسها الأندلسيون:

كانت هذه الكتب في بدايتها سهلة وبسيطة، وبخاصة الكتاب الأول الذي دخل الأندلس على يد جودي بن عثمان الأندلسي: وهو كتاب مختصر في النحو للكسائي، فيبدو أنه كان صغيراً مختصراً بسيطاً، دون توسع في القياس أو عمق في الأفكار فكان خير معين تعليمي لقوم حديثي العهد بعلم النحو.



ومضت السنوات والنحو الكوفي يسود في الساحة الأندلسية حتى اشتد عود الأندلسيين النحوي، وشعروا بمقدرتهم على تجاوز هذه المختصرات والعبور إلى مرحلة هي أكثر عمقا وشمولاً وهي المدرسة البصرية القائمة على القياس والتمسك بالأحكام والتخلص من بعض التنازلات التي قدمها الكوفيون في مسألة الاعتماد على الشاذ و القليل، بل الاستشهاد بالبيت الواحد.

ويذهب الدكتور شوقي ضيف إلى أن هذا الامر أوقع اضطراباً وفوضى في النحو العربي<sup>(٢٣)</sup> وأفسد سماع الكسائي شيخ مدرسة الكوفة - للشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة، وجعله أصلاً نقيس عليه ويتفق مع هذه المقاربة الدكتور أحمد أحمد بدوي<sup>(٢٤)</sup>. وكان من الطبيعي أن يتجه نخبة الأندلس ويوجهوا جهودهم نحو البصرة، وعلمائها، فأخذوا النحو البصري الذي طبع به نحوهم وسناقش ذلك في المطلب القادم.

### الاهتمام بالنحو البصري:

كان رائد هذه الحركة محمد بن أبي يحيى المهلب الرباحي (ت ٣٥٣هـ) تلميذ أبي جعفر النحاس. اشتهر الرباحي بحذقٍ لعلم العربية، ودقة نظر فيها فكان مستنبطاً جيداً. وقد صحب معه أثناء رحلته للمشرق عالمن ليساعدها، وهما أبو جعفر بن الصفار المشهور بالنحاس، وقد أخذ عنه رواية كتاب سيبويه، كما صحب علي بن الحسين المعروف بعلان (ت ٣٣٧هـ) وهو من ذوي النظر والإدقاق في المعاني<sup>(٢٥)</sup>.

وهكذا أخذ الرباحي علم الرواية عن النحاس، وعلم الدراية عن علان<sup>(٢٦)</sup> فرسم للأندلسيين منهجاً يرمي إلى تدبر أصول هذا العلم وعرض الآراء منها على محك النقد المتحرر والحرص على حسن الاختيار. ويقال إن العالم الأفشتيق (محمد بن موسى

(ت ٣٠٧) (٢٧) هو من أدخل النحو البصري إلى الأندلس؛ وذلك عندما أدخل كتاب سيويه، فقد وصل إلى المشرق العربي ولقي أبا جعفر الدينوري وانتسخ منه نسخة. (٢٨) ومهما يكن من أمر الاختلاف فالثابت أن كتاب سيويه هو أول وثيقة بصرية تدخل إلى بلاد الأندلس، فما إن ذاع سيطه وعمت شهرته حتى وجد من العلماء من يتلقاه شرحاً فرحاً بمغنمه الجديد، فوجهت إليه كثير من جهود نخاعة الأندلس، فشرحوه واستدركوا عليه ودرسوه في حلقاتهم بل أصبح مقياساً لعلم وعلو الدرجة فمن لا يدرسه فهو لا يعرف شيئاً (٢٩).

فكلما تمدد النحو البصري في الأندلس انكمش النحو الكوفي، إذ أصبح كتاب سيويه هو المصدر الأول عندهم لا ينافسه إلا كتاب الجمل للزجاجي، على الرغم من دخوله الأندلس بعد زمن طويل من دخول كتاب سيويه. ويذكر السيوطي في ذلك فيقول: ((إن أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت ٧٠٨ هـ) عندما خرج من مالقة، ترك هناك من طلبته أربعين يقرأون كتاب سيويه)) (٣٠).

إن الاهتمام الكبير الذي وجدته (الكتاب) لسيويه قد طبع النحو الأندلسي بطابع بصري خالص وإن كان ذلك متأخراً. إذ كان كتاب الكسائي سابقاً لكتاب سيويه ولكنه لم يجد العناية والاهتمام التي وجدها كتاب سيويه أو التي وجدها كتاب الجمل للزجاجي (٣١).

وكان لرحلة أبي علي القالي المشهورة إلى الأندلس أثرها البالغ في هذا التطور الذي بلغ ذروته في هذا المجال عند ابن سيده صاحب كتاب المخصص اللغوي والمتضمن لأهم البحوث العلمية النحوية من لدن سيويه إلى ابن جني (٣٢).

ثم تبلورت كل هذه الاتجاهات في صيغة مناهج المدرسة المغربية الأندلسية. ومن أوائل منظرها الأعلام الشنتمري الذي جمع بين الدراسات اللغوية والمسائل النحوية.

إذن بدأ النحو في الأندلس كوفيا ثم تبصّر بعد ذلك، فكان لكلا المذهبين أنصاره وأتباعه بل تجاوزت العناية به العلماء إلى القضاة وغيرهم.

كما ذكرت في بداية هذا البحث أن اختيارات الأندلسيين كانت في أولها كوفية لأسباب تم ذكرها سابقاً، إلا أن النحو قد تبصّر في هذا الإقليم، والمجال لا يسع لذكر كثير من العلماء الذين أسهموا في هذا التبصر، فنذكر منهم على سبيل الاستشهاد الأعلام الشنتمري (يوسف بن سليمان، ت ٤٧٦هـ)<sup>(٣٣)</sup>.

يُعد الأعلام الشنتمري من أعلام القرن الخامس الهجري في دراسة النحو العربي في بلاد الأندلس، وقد ساهم مع غيره من علماء عصره في خدمة درس النحو، وترتيبه، وشرح كتبه، وتيسيره لطلاب العلم. كما كان من السباقين في خدمة كتاب سيوييه، والذي عدوه المصدر الأول للنحو. يقول عنه ابن بشكوال ((كان عالماً باللغات والعربية ومعاني الأشعار حافظاً لجميعها، كثير العناية بها، حسن الضبط لها، مشهوراً بمعرفتها وإتقانها...))<sup>(٣٤)</sup>، وقد كان شيخه وعمدته في النحو إبراهيم بن محمد بن زكريا المعروف بابن الافليلي (٣٥٢ - ٤٤١ هـ). مكث جل حياته بالأندلس، وقد كانت مليئة بالتدريس والتأليف، وله من اللغويات شرح شعر الشعراء الستة الجاهليين، وشرح أبيات شواهد سيوييه، وشواهد الجمل، وشرح شعر أبي تمام. وقد تميز شرحه كتاب سيوييه بدفاعه عن منهج سيوييه والأمثلة على ذلك:

أ - في بعض الردود يعرض رأي سيوييه، ورأي المبرد وإذا لم يكن له اعتراض على قول أبي العباس يفضل أن لا ييدي رأيه الخاص مثل:

يقول الأعلام: وفي باب المصدر أنشد سيوييه قول غيلان بن حريث:

إذا رأني أسقطت أبصارها      و أب بكار شايحت أبكارها

وقال إنّ المصدر هنا (أب) منصوب بفعل مضمر وهو أبت غير منصوب ب (أسقطت أبصارها) لأنه ليس من حروف المصدر ولو كان في معناه الذي دل على الفعل المضمر، ولقد رد المبرّد على هذا الرأي، وأجاز نصب المصدر بفعل ليس من حروفه إذا كان في معناه، فلم يرجح الأعلام أحد القولين وإن كان سكوته يدل على عدم مخالفة المبرّد لأنّ عاداته أن ينتصر لرأي سيبويه<sup>(٣٥)</sup>.

ب - وإذا وجد من النحويين من يتكفل بالرد على المبرّد في مخالفته لسيبويه اكتفى الأعلام بتصويبه مثل ما قال في المثال التالي مؤيدا لقول الزجاج فقال: وفي باب ما يشبه بالأماكن المختصة بالمكان غير المختص مثل قول العرب هو مني منزلة الشغاف، وهو مني منزلة الولد، وكذلك هو مني مزجر الكلب، وأنت مني مقعد القابلة.

قال سيبويه: ((واعلم أن ظروف الدهر أشد تمكنا في الأشياء)). وقال المبرّد: ((غلط سيبويه في هذا لأنه ذكر في أول الكتاب إن ظروف المكان أقرب إلى الأناسي ونحوهم لأن لها جنسا وأسماء تعرف بها كما تعرف الأناسي))<sup>(٣٦)</sup>. وصوب الزجاج رأي سيبويه فقال: ((وأصاب لان ظروف الزمان يقلل منها ما لا يتمكن ألا تعرف أن (سحر) إذا نكر تمكن))<sup>(٣٧)</sup>.

ج/ وإذا ما ارتفعت حدة نقد المبرّد لسيبويه تشدد الأعلام في دفاعه عنه إلى أن يصل في ذلك إلى ذكر تجاوزات المبرّد في مذاهبه والتي لا توجد في القرآن وغيره ومثال ذلك ((وذكر سيبويه عن العرب حذف علامة التأنيث من الحيوان مع قلة)).

كان المبرّد ينكر ذلك أشد الإنكار ويقول: لم يوجد ذلك في قرآن ولا كلام فصيح ولا شعر. وقول سيبويه أصح لأنه حكاة عن العرب وهو غير متهم في حكايته، وليس كل لغة توجد في كتاب الله عز وجلّ ولا كل مايجوز في العربية يأتي به القرآن أو الشعر وللمبرّد مذاهب لم توجد في قرآن أو غيره من ذلك: إجازته زيد قائما قياسا على

جاء زيد قائماً وهذا لا يكاد يوجد له شاهد من شعر أو غيره<sup>(٣٨)</sup>. والأمثلة على ذلك كثيرة تحتاج إلى بحث منفصل إلا أنني ومن خلال هذه المسائل يمكنني القول: إن الأعلام الشنتمري لم يكن ناقلاً ومدافعاً عن آراء شيخ البصريين سيبويه بل اعتمد هذه الآراء مذهباً عرف أصوله السمعية وقواعده القياسية فتقافته الواسعة في الشعر واللغة واستيعابه لأمّهات الكتب النحوية، وبخثه في التعليل والاستنباط كل ذلك جعل منه القدوة التي أنارت الطريق أمام النحويين المغاربة لإثراء النحو وتطويره وتيسيره، ومن أشهر من اتبع هذا الطريق العالم أبو الحسين ابن الطراوة (ت ٥٢٨).

وخلاصة القول إن الأعلام الشنتمري هو أول من نصح لنحاة الأندلس نصح الترجيح وعدم الاقتناع بالعلة الأولى بل البحث عن عللٍ أخرى لأي حكم نحوي، بل كان ممهداً ومعبداً لهذا الطريق لنحاة مدرسة بغداد من بعدهم وفي ولعه بالعلل الثواني والثالث. يقول ابن مضاء القرطبي ((وكان الأعلام -رحمة الله عليه- على بصره بالنحو مولعاً بهذه العلل الثواني، ويرى إنه إذا استنبط منها شيئاً فقد ظفر بطائل)<sup>(٣٩)</sup>.

وكان ما يزال يختار لنفسه من آراء البصريين والكوفيين والبغداديين، من ذلك اختياره رأي السيرافي البصري في أن (مَنْ) تأتي مرادفة لربما إذا اتصلت بما، ولذلك خرجا عبارة سيبويه (واعلم أنهم مما يحذفونه كذا)<sup>(٤٠)</sup> ومن ذلك اختياره رأي الفراء إمام الكوفة في أن: الفاء قد تزداد في الخبر إذا كان أمراً أو نهيّاً فقط مثل (زيد فكلمه) و (زيد فلا تكلمه)<sup>(٤١)</sup>.

ولعله أدرك أن الخلاف بين النحاة كان سبباً من أسباب تعقيد الدرس النحوي، وتنفير الطلاب منه، ولذلك ابتعد عن ذكر الخلاف النحوي بين النحاة سواء كانوا كوفيين أم بصريين، فكان يشير إلى الخلاف دون أن يناقشه أو يرجح رأياً لأحد ومن ذلك تعامله مع شاهد طرفة بن العبد:

ألا أيُّ هذا الزاجري أحضَرَ الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي  
الشاهد في رفع أحضر لحذف الناصب وتعريه منه والمعنى لأن أحضَرَ الوغى وقد يجوز  
النصب بإضمار أن ضرورة وهو مذهب الكوفيين<sup>(٤٢)</sup>.

إن إمساك الأعلم عن ذكر كل آراء النحاة وابتعاده عن مناقشتها جعل كتابه  
سهلاً موجزاً، ومع ذلك فقد تشدد الأعلم في بعض الآراء النحوية فذكر خلافتهم فأورد  
بعضاً منها وبأسلوب سهل ومختصر<sup>(٤٣)</sup>.

### الخاتمة:

وختاماً نرى أن للجغرافية والتاريخ الأثر الأوضح في توجيه الاختيارات العلمية وتحديد المذاهب العلمية والدينية، فإن سمينا جغرافية إقليم الأندلس بالمدرسة الأندلسية فهذا ليس بالاصطلاح الدقيق فقد بدأت الأندلس كوفية الهوى والاختيار وما لبث أن تحول هواها إلى البصرة وتبصر نحوها، فوسمت بالترجيح تارة؛ ولكنها مدرسة قامت على التحليل والتعليل والتوجيه العلمي الميسر للدرس النحوي وقد توصلت هذه المناقشات للحقائق التالية:

- ١ - بدأ النحو الأندلسي كوفي الاختيار وذلك لدخول كتاب الكسائي أولاً لهذا الإقليم.
- ٢ - كان لبساطة وسطحية المؤدبين في أول الأمر كبير الأثر في الميل إلى النحو الكوفي؛ حيث يميل النحو الكوفي إلى التيسير وعدم التشدد في أمر الرواية.
- ٣ - تحول الولاء للبصرة وتبصر النحو في الأندلس بعد أن اشتد عود علمائهم، وهاجروا إلى المشرق.
- ٤ - غلبت سمة الترجيح على نخبة الأندلس فأخذوا بكلام المذهبين مع البسط والتيسير وابتعدوا عن ذكر الخلافات النحوية ومناقشتها.
- ٥ - مثل الأعلام الشنتمري اتجاهها لعلماء الأندلس فلم يكتف في أحكامه النحوية بالعلة الأولى، التي كان يدور حولها الحكم النحوي بل كان مولعاً بالعلل الثواني مستنبطاً لها.
- ٦ - تعد المدرسة الأندلسية تطوراً طبيعياً لمدرسة النحو العربي في المشرق فقد عملت على تيسيره وتبسيطه، وإفهامه لطلاب العلم.

### التوصيات:

- ١ / إقبال الباحثين على سبر غور هذه الفترة الأندلسية والغوص في دقائق أمور النحو في تلك المرحلة.

٢ / الاقتداء بما بدأه علماء الأندلس في تيسير وتبسيط للدرس النحوي.

٣ / الابتعاد عن التأصيل للخلافات النحوية.



المصادر والمراجع:

- ١ / الخولي، عبد البديع. الفكر التربوي في الأندلس. ط٢، دار الفكر العربي، ١٩٨٥م ص١٧ وما بعدها.
- ٢ / المصدر السابق نفسه، ص٤٢ وما بعدها.
- ٣ / ابن خلدون، عبدالرحمن المقدمة، ١٢٥٥ - ١٢٥٦ تحقيق علي عبدالواحد وافي، القاهرة، ١٩٦٠.
- ٤ / الطنطاوي، محمد: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المنار، ١٤١٢هـ/١٩٩١م ص١٠.
- ٥ / ضيف شوقي: المدارس النحوية، ط٣ دار المعارف ١٩٧٦ ص١١.
- ٦ / أنظر، الخولي عبد البديع: الفكر التربوي في الأندلس ص٣٥.
- ٧ / هو جودي بن عثمان مولى لآل طلحة العنسيين من أهل ورد، رحل إلى المشرق فلقى الكسائي والفراء، وهو أول من أدخل كتاب الكسائي (راجع الزبيدي، أبوبكر، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف: ٢٥٦
- ٨ / الحميدي، محمد بن فتوح: جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، تحقيق محمد تاويت الطبخي، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والنشر ١٩٩٦م، ص ٢٨٢.
- ٩ / ابن الفرضي، عبد الله بن محمد: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ، ص١٧٨. ١٠ / نقلا عن تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، الدكتور مختار ولد أباه، الدار العلمية للكتب بيروت، ١٩٩٦ ص٢٢٣

- ١١ / أبو الحسن مفرج بن مالك النحوي كان ذا صلاح وفضل، له كتاب شرح كتاب الكسائي، الزبيدي، أبوبكر طبقات النحويين واللغويين ص ٢٧٣، وكحالة عمر رضا معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العلمية، مطبعة الترقى، ١٩٥٧م، ١٢ / ٣١٤.
- ١٢ / الزبيدي، أبوبكر، طبقات النحويين واللغويين تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف، ط ٢، ص ٢٥٦.
- ١٣ / المصدر السابق نفسه، ص ٢٥٦.
- ١٤ / المصدر السابق نفسه، ص ٢٧٣.
- ١٥ / المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- ١٦ / ابن الفرضي، عبد الله بن محمد: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، ص ٤٣٣.
- ١٧ / محمد بن موسى بن هاشم بن زيد، كان متصرفاً في العلم والأدب، ت ٣٠٧ هـ.
- ١٨ / الزبيدي طبقات النخبة، ٢٥٥.
- ١٩ / انظر الزبيدي طبقات النخبة ص ٢٥٣.
- ٢٠ / تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، محمد ولد أباه، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١٩٦٦، ١، ص ٢٢٤.
- ٢١ / الفاسي، علاء، سيبويه والمدرسة الأندلسية المغربية في النحو، مجلة اللسان العربي، ع ١٩٧٥، ١٢م.
- ٢٢ / د. وائل أبوصالح، بحث منشور في مجلة هدى الاسلام سنة ١٩٨٤، العدد السابع، ص ٥٤.
- ٢٣ / بدوي أحمد أحمد، سيبويه حياته وكتابه ط ٢، مصر مكتبة نهضة مصر، ص ١٢.
- ٢٤ / ضيف شوقي المدارس النحوية، طبعة دار المعارف، ط ١٩٧٦، ٣م، ص ١٦٢.
- ٢٥ / بدوي أحمد أحمد، سيبويه حياته وكتابه ص ١٢.

- ٢٦ / الزبيدي، طبقات النحويين ص. ٢٢٢
- ٢٧ / انظر محمد مختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب دار الكتب العلمية بيروت ط ١ ١٩٦٦، ص. ٢٢٤
- ٢٨ / الزبيدي طبقات النحويين واللغويين ص. ٢٨٢
- ٢٩ / السيوطي، جلال الدين بقية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١/٣٣١
- ٣٠ / المصدر السابق نفسه ١/٢٩٢
- ٣١ / انظر السيد أمين: الاتجاهات النحوية في الأندلس، القاهرة، ١٩٨٢م، ص. ١١٢
- ٣٢ / محمد مختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، دار الكتب العلمية بيروت ط ٢ ١٩٩٦، ص. ٢٢٥
- ٣٣ / هو إمام العربية أبوالحجاج، يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري الأندلسي النحوي، برع في اللغة والنحو والأشعار، وجلس على الطلبة وتكاثروا عليه، وصنف التصانيف أشهرها تحصيل عين الذهب (شرح شواهد سيويه، والنكت في شرح كتاب سيويه، نظر في ترجمته، الذهبي، الحافظ بن شمس الدين: العقد الثمين في تراجم النحويين تحقيق وإعداد يحيى مراد، القاهرة، دار الحديث، ط ٣ ٢٠٠٤ م ص. ١١
- ٣٤ / ابن شكوال، أبوالقاسم خلف بن عبد الملك، الصلة، مجلد ٢، القاهرة ١٩٥٥، ص ٦٣٤ .
- ٣٥ / ترجمته القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، مج ٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٧٣م، ١/٢١٨
- ٣٦ / المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب القاهرة، ١٩٨٣م، ٣/٢٠٤ .

- ٣٧ / سيوييه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٣م / ٢٠٨.
- ٣٨ / انظر محمد المختار ولد أباه، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب ص. ٢٢٩.
- ٣٩ / الأعلام الشتمري، النكت نقلا عن مختار ولد أباه ، تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب ص. ٢٢٩.
- ٤٠ / ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، دار الفكر العربي، ١٦٠.
- ٤١ / ابن هشام المغربي ص. ٣٥.
- ٤٢ / المصدر نفسه ص. ١٧٩.
- ٤٣ / الشتمري، الأعلام تحصيل عين الذهب من جوهر الأدب في علم مجازات العرب تحقيق د. زهير عبد المحسن سلطان، ط٢، بيروت ١٩٩٤، ص٤٢٤، ص٤٢٩، ٤٤/، الشتمري الأعلام،: النكت في تفسير كتاب سيوييه، مج ٢. تحقيق رشيد بلحبيب، المملكة المغربية ١٤٢٠ هـ، المقدمة ص٧٧.